

تنويه لأبد منه

علمتُ أن ثلاثة من الدارسين انسحبوا من الأكاديمية اعتراضاً على ما قلته بخصوص موضوع التَّجديف على الرُّوح القدس، وموضوع صعود المسيح إلى السَّماء. وما ذكرته في الموضوع الأوَّل لم يخرج عمَّا يقوله البابا أناسيوس الرِّسولي في هذا الشأن، وما ذكرته في الموضوع الثَّاني هو ما يُعلِّم به القديس كيرلس الكبير. فهو تعليم كنيسة الإسكندرية لاثنتين من آباؤها الأوَّلين، تدين لهما كنائس المسكونة كلها شرقاً وغرباً.

ثمَّ أننا حين نلتحق بمعهد أكاديمي فإنما نبغي أن نتعلَّم ما لا نعرفه، لا أن نسمع ما نريد أن نسمعه فحسب، أو على الأقل نناقش ما نعترض عليه. وأدعي أنني أعرف سبب الداء الذي أصاب الكثيرين منَّا.

إن أحضعنا أمور الإيمان لفحص العقل، نفقد صحَّة الإيمان، ونظلم العقل أيضاً. لأنَّ للعقل حدوداً لا يقدر أن يتعدَّها فيما يختص بإيمان الكنيسة وأسرارها.

أي أن الإيمان هو الإيقان بأمر يعجز العقل عن فحصها. وفي ذلك يقول الرِّسول بولس: «الإيمان بالخبر، والخبر بكلمة الله» (رومية ١٠: ١٧). موضحاً ذلك بقوله: «إن اعترفتَ بفتحك بالرَّب يسوع، وآمنتَ بقلبك أن الله أقامه من الأموات، خلَّصتَ» (رومية ١٠: ٩). وهكذا يركز الرِّسول بولس دائماً بكلمة الإيمان ويقول: «كلامي وكراتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانيَّة المقنع، بل ببرهان الرُّوح والقوة» (١ كورنثوس ٢: ٤).

فهل يمكننا بالعقل أن نعقل أن الله يصير إنساناً وهو لم يزل إلهاً؟ لا نستطيع. لذلك يقول الإنجيل المقدَّس: «عظيم هو سرُّ التَّقوى، الله ظهر في الجسد». وكلمة التَّقوى هنا هي ترجمة للكلمة اليونانية εὐθεβία والتي تعني: التَّقوى وتعني الإيمان أيضاً. وهناك قول مشهور للبابا أناسيوس الرِّسولي يقول فيه: [التَّقوى والإيمان صنوان لا يفترقان]. لذلك فالآية التي سبق ذكرها، تكون: «عظيم هو سرُّ الإيمان، الله ظهر في الجسد». وهو ما ينطبق أيضاً على كلِّ أفعال الخلاص التي أكملها المسيح من أجلنا، ومن بينها فعل صعوده إلى السَّماء.

وبكلِّ محبة أقول: إن كان عودة هؤلاء الدارسين إلى الأكاديمية مشروط بانسحابي منها، فلا مانع عندي بعد موافقة المسؤولين.

موجز القرنين الأوَّل والثَّاني للميلاد في كنيسة الإسكندرية

إنَّ التَّاريخ الليتورجي لكنيسة الإسكندرية خلال القرنين الأوَّل والثَّاني للميلاد مُبهم، ولاسيَّما قبل سنة ١١٧م، وهي آخر سنة في حكم الإمبراطور تراجان (٩٨-١١٧م). ولذلك التَّجأنا إلى كتاب المدياحي الذي دون في سوريا في نهاية القرن الأوَّل الميلادي، لتتعرف على بعض جوانب الحياة الليتورجية للكنيسة في هذا الوقت المبكر من تاريخها.

وتحدثنا عن أسباب انعدام الشُّواهد الوثائقية - ولاسيَّما الليتورجية - في كنيسة الإسكندرية في القرن الأوَّل الميلادي، وأنه بسبب هذا الإهمام، اهتمت كنيسة الإسكندرية بأنها نشأت وسط محيط من تأثيرات غنوسية، أو يهودية غنوسية. وهو الإهمام الذي تزعمه العالم الألماني فالتر باور (١٨٧٧-١٩٦٠م) وانتشر انتشاراً واسعاً في النصف الأوَّل من القرن العشرين للميلاد. حتى جاء عالم البرديات الإنجليزي كولن روبرتس ونشر كتاباً سنة ١٩٧٩م دحض فيه نظرية فالتر باور، مستعيناً بأربع عشرة بردية كانت محفوظة في مصر تعود إلى القرن الثَّاني الميلادي. وخلص إلى القول إنه إن كان هناك تأثير يهودي على كنيسة مصر في بواكير نشأتها، إلا أنه لم يكن تأثيراً يهودياً غنوسياً. ولخص أبحاثه في ثلاث نقاط هامة هي:

(١) أن كنيسة أورشليم هي أقدم مصدر ليتورجي لكنيسة الإسكندرية.

وقد شرحتُ هذا البند معتمداً على أبحاث بعض علماء الليتورجيا مثل العالم هانز ليتزمان، والعالم ريتشاردسن، والعالم وستكوت، والعالم هورت، وغيرهم.

(٢) أن المسيحية المبكرة في مصر، كانت يهودية الأصل. وذكرت أن كثيراً من علماء الليتورجيا أمثال كولن روبرتس، ودانييلو، وهورنشو، وكوستر، يرون أن المسيحية المبكرة في مصر كانت ذات خاصية مسيحية يهودية.

(٣) وأن المسيحيين الأوائل في مصر، نُظر إليهم كيهود أو كجماعة متميزة مستقلة ذات عقائد خاصة. ولكن مع أوائل القرن الثاني الميلادي بدأ المسيحيون يظهرون كجماعة مختلفة ومتميزة عن المجتمع اليهودي.

• في القرن الثاني الميلادي، وفي سنة ١١٧م، كانت الثورة الرابعة لليهود، والتي قام بها هذه المرة يهود الإسكندرية على الإمبراطورية الرومانية، فأرسل الإمبراطور تراجان حملة أبادت تقريباً اليهود الساكنين في الإسكندرية. فكانت بداية تحرر كنيسة الإسكندرية من القيود والعوائد اليهودية، لتتحول كنيسة الإسكندرية رويداً رويداً من أعضاء وقادة من اليهود الذين قبلوا الإيمان بالمسيح، إلى أعضاء وقادة من أبناء شعب مصر الوطنيين.

• ثم كانت المرحلة الثانية والمحصورة بين سنة ١١٧م، وسنة ١٨٠م. والتي فيها حدث انتقال لكنيسة الإسكندرية من كنيسة ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بكنيسة أورشليم حتى سنة ١١٧م، وقد أوضحت آثار المسيحيين الأوائل من أصل يهودي على كنيسة الإسكندرية في هذا الوقت، في مقابل ازدياد الرباط بين كنيسة الإسكندرية وكنيسة روما، وشرحت أيضاً مظاهر التحرر من القيود والعوائد اليهودية في كنيسة الإسكندرية.

وهذا التحول كان بسبب ثورة أخرى لليهود في فلسطين سنة ١٣٢م، ضد السلطة الرومانية، والمعروفة باسم ثورة باركوكبا، أي ابن الكوكب، واستمرت الثورة مشتتة ثلاث سنوات. فكانت هذه الثورة إيذاناً بزوال أورشليم حيث سوّيت المدينة بالأرض، وأحليت من سكانها، وحيء بأمة ليسكنوا أطلالها، وتحول اسمها إلى آليا كابيتولينا، إكراماً للإمبراطور إليوس هديران (١١٧-١٣٨م) الذي سحق اليهود وعاصمتهم.

هذا ملخص للمحاضرات الأربع السابقة. والآن علينا الحديث عن القرنين الثالث والرابع للميلاد.